

الوافي في الوفيات

يا من هجرت فما تُبالي ... هل ترجع دولة الوصال .
ما أطمعُ يا عَذَابَ قلبي ... أن ينعمَ في هواك بالي .
الطرفُ كما عهدتُـ بأكٍ ... والجسمُ كما تراه بالي .
ما ضرَّكَ أن تعلَّـ ليني ... في الوصلِ بموعد مُحال .
أهـواكِ وأنتِ حَظُّـ غيري ... يا قاتلتني فما احتيالي .

وكانت لابن القطان مع الحيص بيص وقائع وله فيه أهاجـيٌ خرج الحيص بيص ليلةً من دار الوزير شرف الدين ابي الحسن علي بن طرادٍ الزينبي فنبج عليه جَـروُ كلبٍ وكان متقلداً سيفاً فوكزه بعقب السيف فمات فبلغ ذلك ابن الفضل المذكور فنظم أبياتاً وكتبها في ورقة وعلقها في عنق كلبة لها أجرٍ ورتب معها من طَرَدَها وأولادها إلى باب دار الوزير كالمستغيثة فأخذتِ الورقة من عُنُقها وعُرِضَت على الوزير فإذا هي :
يا أهل بغداد إنَّ الحيصَ بيصَ أتى ... بفعله أكسبته الخزي في البلد .
هو الجبانُ الذي أبدى تَشاجُـعَه ... على جُرَـيٍّ ضعيف البطش والجلَد .
وليس في يده مالٌ يديه به ... ولم يكن ببواءٍ عنه في القَوَد .
فأنشدت جعدَةً مـن بعدِ ما احتسبت ... دمَ الأُـبـلـاق عند الواحد الصمد .
تقول للنفس تأساءً وتَعزِيَةً ... إحدى يَدَيَّـ أصابتني ولم تُـرـد .
كـلاهما خـلَـفُ من فَـقـدِ صاحبه ... هذا أخي حين أَدعوه وذا وَلـدي .
وهذان البيتان تضمينٌ من أبيات الحماسة وحضر الحَـيـص بيص ليلةً عند الوزير في شهر رمضان على السماط فأخذ ابن الفضل قَـطـاة مشوية وقدمها إلى الحيص بيص فقال الحيص بيص للوزير : يا مولانا هذا الرجل يؤذيني فقال الوزير : وكيف ذلك ؟ قال : لأنه يشير إلى قول الشاعر :

تَميمٌ بـِطـرفِ اللؤم أهدى من القطا ... وَلَو سَلَكَتْ سَبيل المكارم ضَلَّـت .
وكان الحيص بيص تميميًّا ودخل ابن الفضل يوماً على الوزير المذكور وعنده الحيص بيص فقال : قد عملتُ بيتين لا يمكن أن يُعملَ لهما ثالثٌ فقال الوزير : وما هما ؟ فأنشده :
زار الخيالُ بِخَيلاً مِثْلَ مُرسله ... فما شَفائيَ منه الضَمُّ والقُبـلُ .
ما زارني قَـطُّـ إلاَّ كي يوافقني ... على الخيال فينفيه ويَـرـتحـل .
فالتفت الوزير إلى الحيص بيص وقال : ما تقول في دعواه ؟ فقال : إن أعادهما سمع الوزير لهما ثالثاً فقال الوزير : أعدهما فأعادهما فوقف الحيص بيص لُـحـيطةً ثم قال : .

وما درى أن نومي حيلةٌ نُصِيت ... لِطَيفِهِ حينَ أَعيا اليَقَظَةَ الحَدِيلُ .
فاستحسن الوزير منه ذلك وهجا ابن الفضل قاضي القضاة جلال الدين الزينبي بقصيدة كافية
فسير إليه أحد الغلمان فأحضره وصفعه وحبسه فطال دَبَسُهُ فكتب إلى مجد الدين بن صاحب
أُستاذ دار الخليفة : .

إليك أطلُّ مجدَ الدين أشكو ... بلاءٌ حَلَّـ لستُ له مُطِيقًا .
وقوما بلَّغوا عَذبي مُحالًا ... إلى قاضي القضاة النذب شريقا .
فأحضرني باب الحُكم دَصمُ ... غليظُ جرَّني كُمًّا وزريقا .
وأخفق نعلَهُ بالصَّفع رأسي ... إلى أن أوجس القلبَ الخَفوقا .
على الخصم الأداءِ وقد صفَعنا ... إلى أن ما تهدَّينا الطريقا .
فيا مولاي هَبْ ذا الإفكَ حقاً ... أَيْحَسُ بعد ما استوفى الحقوقا .
فأطلقه من الحبس فقال : .

عند الذي طَرَّـفَ بي أنه ... قد غَصَّـ من قَدري وآذاني .
والجيسُ ما غيَّر لي خاطِراً ... والصَّفعُ ما لَيَّـنَ آذاني